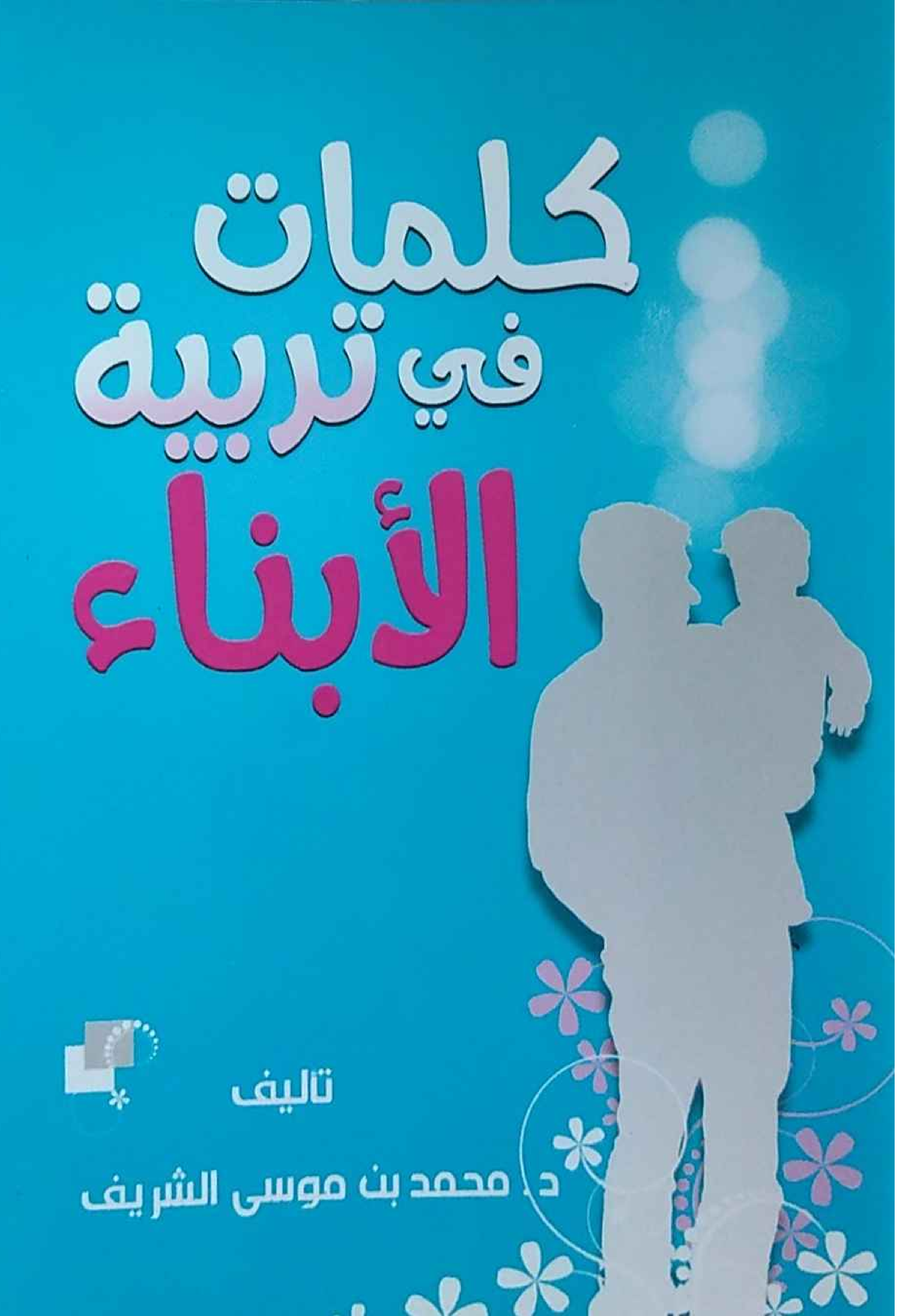

كلمات
في تربية
الأبناء
تاليف
د. محمد بن موسى الشريف



كلمات في تربية الأبناء

د. محمد موسى الشريف



الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٥٢٢٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N

978-977-456-433-5



18 شارع مطر - أحمد حلمي :شبرا مصر -ت 01148881532
newandalus.book@gmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه مقالات كتبتها في تربية الأولاد، تناقش بعض المشكلات، وتضع بعض الحلول، أسأل الله تعالى أن ينفع بها جامعها وقارئها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللّٰهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد بن موسى الشريف
mmmalshareef@hotmail.com
www.altareekh.com
http://www.youtube.com/maltareekh
TWITIER.com/DRMOHAMMEDMH
www.facebook.com/mhmaltareekh

(١)
عناية الوالدين بالأولاد

كثرت المغريات والمفسدات في هذا الزمان، وصار لزامًا على الوالدين أن يحسنا تربية أولادهما والاعتناء بهما، وذلك حتى لا يركن الأولاد إلى رفقة السوء، أو إلى المخدرات التي فتكت بكثير من الشباب، أو إلى الأفلام الفاسدة المهيجة للشهوات، أو إلى غير ذلك من أسباب الضلال والفساد.

وهذه العناية يجب أن توجه للأولاد منذ

نعومة أظفارهم بل من قبل ولادتهم، فالرجل يختار المرأة الصالحة التي يرى أنها ستحفظ عليه بيته وعياله، والحديث عن المرأة الصالحة يطول، وسأفرد لها حديثًا إن شاء الله تعالى.

ثم إن رُزق الوالدان بولد - ذكر أو أنثى - فالحمد لله متعين واجب على هذه النعمة العظيمة، فيختاران له اسمًا حسنًا، ويحنكانه بالتمر، إذ هذه سنة النبي ﷺ، حنك عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بتمرة، وحنك آخرين، والتحنيك هو أن يدلك سقف حلق الرضيع ومنابت أسنانه بتمر لينة بريقه.

ويعقان عنه العقيقة الشرعية، للذكر شاتان وللأنثى شاة، ويستحب أن تذبح العقيقة في سابع

ولادته، فإن لم يكن ففي رابع عشرها، فإن لم يكن ففي اليوم الحادي والعشرين، فإن لم يتيسر ففي أي يوم بعد ذلك، ويتصدقان بثلث العقيقة، ويهديان ثلثها، ويأكلان الثلث الباقي، ويحلقان شعر المولود - ذكرًا كان أو أنثى - ويتصدقان بوزنه فضة، ويعتنيان بمولودهما ويحفظانه، وترضع الأم ولدها حولين كاملين، واستحب بعض السلف أن تكون الرضاعة حال طهر الأم من الحدثين الأكبر والأصغر؛ إذ لذلك أثر في صلاح الولد بعد ذلك، وهذا وإن لم يكن فيه شيء مأثور عن النبي ﷺ إلا أنه عمل صالح.

ثم إذا بلغ الولد مبلغ الفهم فإن الوالدين يلقنانه أحسن الكلام من الأذكار المأثورة،

ويعلمانه آيات من القرآن الكريم على قدر ما يستطيع ويتحمل ويتعاهدان بهذا.

❊ ❊ ❊

(٢)
الرضى بالبنات

إن كان الولد أنثى فينبغي على الوالدين ألا يظهرا الجزع، وأن يرضيا بقسمة الله -تبارك وتعالى- فإن إظهار الجزع عند ولادة الأنثى من أحوال الجاهلية، وفيه تشبه بأهل الجاهلية الأولى الذين أخبر الله تعالى عن حالهم بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وللصبر على تربية البنات أجر عظيم، فالنبي

ﷺ قال: «من كانت له ثلاث بنات فأحسن إليهن كن له سترًا من النار. فقالت واحدة من النساء: واثنتان يا رسول الله. قال: واثنتان».

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» وفي رواية: «من بُلي من هذه البنات بشيء....».

وكان النبي ﷺ يحب فاطمة ويجلها، فإذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها رضي الله عنها، وكان يحب حفيداته كذلك ﷺ، وكان يأمر

فاطمة رضي الله عنها - بالصبر على الفقر وضنك العيش.

وكان السلف يسعون على بناتهم ويصبرون على هذا السعي، فهذا عبد العزيز بن مروان يقول لعكرمة - رحمهما الله تعالى -: تركت الحرمين وجئت إلى خراسان؟

قال: أسعى على بناتي.

وروى بشر بن الحارث الزاهد المشهور في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل له: ما فعل بأحمد بن حنبل؟ قال: غفر له. قيل له: ما فعل بأبي نصر التمار؟ قال: هيهات: ذاك في عليين. قيل له: بماذا نال ما لم تنالاه؟ فقال: بفقره وصبره على بُنياته.

والرؤى لا تؤخذ منها تقريرات بمنازل الآخرة، فذلك علم استأثر الله تعالى به، لكن يستأنس برؤى الصالحين في مثل هذه المسائل.

ثم إذا بلغ الولد أربع سنوات ناسب أن يعهد به إلى معلم ليحفظه القرآن، وإذا كان الولد أنثى يعهد به إلى معلمة، وإن قيل: من أين؟ يقال: هناك كثير من المعلمات المتعاقدات ذوات الرواتب القليلة يتمنين أن يعطين راتبًا على أن تدرس البنات القرآن بعد وظيفتها الرسمية، فيؤتى بهن ويضحى ببعض المال حتى تنشأ البنت على حفظ القرآن وتعهده، أما الذكور فأمرهم سهل إذ يذهب بهم إلى المساجد وإلى حلقات القرآن فيها.

ولا يستصغر الوالدان سن ولدهما، فأربع سنين

كافية، بل بعض الأولاد يتحمس للحفظ قبل هذه السن، والحفظ في الصغر عناية من الله تعالى بالولد ولا شك، وعاقبة الحفظ في الصغر حسنة، وتحفظ الولد في مستقبل أيامه إن شاء الله تعالى.

والولد في هذه السن يكون محتاجًا للحنان والعطف والحب والرعاية، فعلى الوالدين أن ينتبها لهذه المسألة المهمة المؤثرة على الولد كل التأثير، فمن حصلت له العناية اللازمة من الأطفال عاش سويًّا مستقيمًا، ومن فاتته العناية وأخطأته قسى قلبه، ونشأ غير سوي ولا مستقيم التصرفات والأحوال، وقد كان النبي ﷺ يأخذ أسامة والحسن ويضمهما ويقول: اللّهم إني أحبهما فأحبهما. وكان ﷺ يومًا يصلي بأصحابه فأقبلت

حفيدته أمامة فصعدت على ظهره الشريف فأطال السجود رعاية لخاطرها. وجاء الحسن والحسين مرة يسعيان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في رقبته ثم ضمه إلى إبطه، ثم قبل هذا، ثم قبل هذا وقال: إني أحبهما فأحبهما.

❊ ❊ ❊



(٣) أخذ الأولاد بالتربية من الصغر

وينبغي للوالدين أن يربيا أولادهما منذ الصغر على تقوى الله تعالى والخوف منه، وعلى الورع المحمود؛ فإن الولد ينشأ حينئذٍ نشأة سوية بعيدًا عن أصحاب السوء ورفاق الباطل، وعلى الوالدين أن يأخذا أولادهما بالتربية الحسنة منذ الصغر ولا يتوانيا في ذلك بدعوى صغر أولادهما وعدم إدراكهما، فإن الطفل يفهم ما يلقى إليه ولو كان صغيرًا، ويعي ذلك، والنبي ﷺ قدوتنا في هذه المسألة كما هو قدوتنا في سائر المسائل، بأبي

هو وأمي ﷺ، فقد رأى حفيده الحسن أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، وكان الحسن صغيرًا آنذاك، فنزعها رسول الله ﷺ بلعابه فجعلها في التمر.

فقيل: يا رسول الله ﷺ: وما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبي؟

قال: إنا آل محمد، لا تحل لنا الصدقة.

قال الحسن: وكان ﷺ يقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة، وكان يعلمنا هذا الدعاء: اللّهم اهدنا فيمن هديت... الحديث.

وهذا عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر بن عبد العزيز إلى المدينة وهو صغير ليتأدب بها،

وكتب إلى صالح بن كيسان – التابعي – يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يومًا عن الصلاة فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مُرَجِّلتي تسكن شعري. قال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولًا إليه فما كلمه حتى حلق شعره.

بهذه الآثار وغيرها يتبين لنا أهمية أخذ الولد بما ينبغي من التقوى والورع وإلزامه بذلك، حتى يشب وقد وعى هذا وفهمه وصار ديدنه، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊



(٤) تعليم الأولاد العلم النافع

ينبغي للوالدين أن يأخذا أولادهما بالعلم النافع ويصبرا على ذلك، وإذا لم يقبل الولد على العلم فينبغي أن يقسر عليه نوعًا من القَسْر؛ لأن الولد لا يدري مصلحته على التحقيق، ولو ترك وهواه ما حصَّل شيئًا نافعًا، خاصة في هذا العصر المليء باللذائذ والشهوات، فإن الطفل لن يقبل على القرآن والعلم إلا بنوع من الضغط والقسر الذي لا يصل إلى درجة الإلجاء والإكراه المؤدي إلى أن يكره الولد العلم وينفر من الإقبال عليه،

وعلى هذا جرى سلفنا الصالح رضي الله عنهم، فهذا سفيان بن سعيد الثوري أمير المؤمنين في الحديث وشيخ الإسلام يقول: ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم فإنه مسئول عنه، وهو نفسه كان والده المحدث سعيد بن مسروق الثوري قد اعتنى به وهو حدث وعلمه العلم النافع.

وهناك قصة من أحسن القصص في هذا الباب؛ فهذا عبد الأول بن عيسى السِّجزي الإمام الحافظ مسند العصر يحكي لتلميذه الشيرازي فيقول: وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعل سعينا له وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي لما سلمت عليّ ولا جلست بين يديّ، ثم بكى بكاءً طويلًا وأبكى من حضره، ثم قال: اللّٰهم استرنا

بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا، يا ولدي تعلم أني رحلت أيضًا لسماع الصحيح ماشيًا مع والدي من هراة (بلدة بأفغانستان) إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين، فكان والدي يضع على يدي حجرين ويقول: احملهما، فكنت من خوفي أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجرًا واحدًا فألقي ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه وأقول: لا، فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز فيأخذ الآخر فيلقيه فأمشي حتى أعطب، فحينئذٍ كان يأخذني ويحملني، وكنا نلتقي جماعة من الفلاحين وغيرهم فيقولون: يا شيخ عيسى ادفع إلينا هذا الطفل نُركبه وإياك إلى

بوشنج فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب حديث رسول الله ﷺ بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه، فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبقَ من أقراني أحد سواي حتى صارت الوفود ترحل إليَّ من الأمصار.

هذه صورة جميلة لحرص الوالد على تعليم ولده وبذل الجهد في ذلك.

والولد يقبل بالترغيب على ما يريده منه الوالدان، ويسر بهذا وينشرح له صدره، وإذا خالط هذا الترغيب ثناء وتكريم فإنه يبلغ من نفس الطفل الغاية، وذلك لأنه مجبول على حب

سماع الثناء وتلقي التكريم بنفس راغبة، وإن كان له إخوة فإن الترغيب يوجد بينهم نوعًا من التنافس المحمود والتسابق المطلوب، والولد يرى في ترغيب والديه له والثناء عليه وتكريمه نوعًا من الاهتمام به يرضي نفسه ويشبع مطالبه.

هذا الإمام نجم الدين الغزي محدث الشام ومسندها، الإمام العامري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٦١ يتحدث عن هذه المسألة المهمة فيقول:

«رُبيت في حجر والدي وتحت كنفه - وكان والده عالمًا أيضًا - حتى بلغت سبع سنوات، وقرأت عليه من كتاب الله تعالى قصار المفصل، وحضرت بين يديه يوم عيد الفطر عام وفاته

وقلت: يا سيدي، أريد أن أقرأ عليك من أول البقرة.

قال: وتعرف تقرؤها؟

قلت: نعم.

قال: هاتِ المصحف. فجئته به فقرأت عليه الفاتحة ثم من أول البقرة إلى «المفلحون».

فقال لي: يكفيك إلى هنا، فأطبقت المصحف بعد أن لقنني: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين».

وأنعم عليَّ حينئذٍ بأربع قطع فضة ترغيبًا لي، وأمرني وأنا ابن ست سنوات أن أصوم رمضان ويعطيني في كل يوم قطعة فضة، فصمت معظم

الشهر، وكان ذلك ترغيبًا منه وحسن تربية، وصمت رمضان السنة التي مات فيها إلا يومًا أو يومين وأنا ابن سبع، وبقيت أجلس معه للسحور، وكان يغفر لي كثيرًا، وأحضرني دروسه أنا وأخي الشيخ كمال الدين...».

هكذا ينبغي أن يرغب الطفل في العلم والعمل الصالح حتى يقبل عليهما إقبالًا حسنًا، والله الموفق.

***

(٥)
تولي الأم شأن الأولاد

إذا غاب الوالد عن أولاده بوفاة أو انشغال في معاش أو دعوة فينبغي للأم أن ترعى أولادها، وتربيهم تربية حسنة، وتكون لهم في مقام والدهم، فإن النبي ﷺ والصحابة كانوا على غاية من الانشغال بالغزو والدعوة وأمور الحياة، وكانت النسوة يتعهدن الأولاد بالتربية والعناية؛ إذ لا ينبغي أن يقف الأولاد حجر عثرة أمام أبيهم في انطلاقه لتحقيق ما أمر الله تعالى به.

يحكي إمام الشام نجم الدين الغزي المتوفى

سنة ١٠٦١ عن نفسه بعد وفاة والده، وكان سنه إذ ذاك سبع سنوات فيقول:

«تربيت بعد وفاته في حجر والدتي أنا وإخوتي فأحسنت تربيتنا، ووفرت حزمتنا، وعلمتنا الصلوات والآداب، وحرصت على تعليمنا القرآن، وجازت شيوخنا على ذلك وكافأتهم، وقامت في كفالتنا بما هو فوق ما تقوم به الرجال، مترملة علينا، راغبة من الله في حسن الثواب والنوال وجزيل الحظ... وكانت معيشتنا من ريع وقف جدنا وملك أبينا وميراثه الذي تلقيناه عنه، أحسنت والدتنا التصرف في أموالنا وفي مؤنتنا وكسوتنا، ولم تحملنا منة أحد قط وتقول: هو ببركة والدهم، ثم إنها أعزها الله ومد في أجلها

أشغلتنا بقراءة القرآن وطلب العلم...».

وفي زماننا هذا ينبغي للأم أن تفرغ نفسها وتجهد جهدها في العناية بأولادها وتربيتهم، ولا تلتفت إلى بعض النسوة اللاتي جعلن همهن في التسوق، وزيارة الصويحبات، وقضاء الأوقات أمام الإذاعات المرئية والمسموعة وضيعن أولادهن بهذا، فنشأ الأولاد على انشغال من آبائهم وتضييع من أمهاتهم، فنشأوا نشأة معوجة، وصار منهم المدمن على المخدرات أو المجرم أو الجاهل، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) الفقر
ليس معناه الضياع

وهناك من الأسر من هم في ضنك من العيش وشدة، لكن مع هذا ينبغي ألا يُضَيع الأولاد بسبب الفقر، وألا تهمل تربيتهم، وإليكم معشر الفقراء قصة من أجمل القصص وأحسنها في هذا الباب، فهذه امرأة مغربية من أهل القرن الحادي عشر تدعى فاطمة الشقوري «كانت رضي الله عنها من الزاهدات العابدات المجتهدات، ولما توفي بعلها ترك أولادها؛ فالأول من نحو سبع سنين، والثاني من نحو أربع، وأخت لهما من نحو

سنتين فألزمت ولديها القراءة، وكان الزمان إذ ذاك شديد الأهوال والشرور والغلاء المفضي إلى قتل الناس أولادهم للاستراحة منهم، حيث لا يجدون ما يقومون به في الغلاء وقد أكل الأموات جهارًا بشوارع فاس، فكانت تجتهد في طلب الكسب من عمل يديها بما يحصل قوتها وقوتهم، فكان خالها السيد محمد بن خلف الأنصاري يشتري لها قدرًا معلومًا من الكتان تغزله ويبيعه لها، وما يفضل لها يشتري لها قدرًا معلومًا من القمح والشعير فتصنع منه خبزة واحدة، وتجعلها فور خروجها من المطبخ في زير من الزيت حتى تروى، ثم تخرجها من الزيت، فتقسم الخبزة أربعًا فتعطي كلًّا من الأولاد ربعًا وتأخذ هي ربعًا، فعلى ذلك عاشوا في تلك المجاعة، ولا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم، والزيت المشار إليه كان عندها قبل الغلاء في زير كبير ممتلئ زيتًا فاستعانت به عليهم في تلك المجاعة، وكان عندها نبق فكانت تعطي لكل واحد حفنة أول النهار فكان يظهر عليهم الشبع وحمرة اللون... وكل ذلك منة من الله وكرم وعون وتوفيق.. ولا زال يظهر في أبدانهم جودة اللون والصحة حتى يظن الظان أنهم ممن يتمتعون في الأكل غاية التمتع، وذلك من بركة توجهها إلى الله سبحانه.

وكانت حيث تتيقظ آخر الليل تغزل غزلًا آخر وهي تذكر الله، وتتركه حتى تجمع منه ما تنسج به شِقَّة وتصرف ثمنها في أجرة معلم ولديها القرآن، وهي متعلقة البال لقراءتهما مجتهدة في

إرشادها، راغبة في إصلاح حالهما، فوفى الله تعالى بقصدها، وأجابها إلى مرغوبها، وكان من أمرهما ما كان....» أرأيتم أو سمعتم بأحسن من هذه القصة؛ فلله دَرُّ تلك المرأة ما أحسن حالها! وما أجمل فعلها، وهكذا ينبغي أن يُعتنى بالأولاد.

***



(٧) تقوى الله معينة على التربية

ليس أحسن من تقوى الله تعالى والخوف منه وخشيته سببًا في حفظ الأولاد والعناية بهم، ومعاذ الله أن يضيع الله تبارك وتعالى أولاد من أقبل عليه، ورغب في ثوابه، وجاهد في سبيله، وبذل الغالي والنفيس ابتغاء مرضاته، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، فعلى الوالدين أن يتقيا الله تعالى وهو المسئول جل جلاله أن يحفظ عليهما

ذريتهما ويبارك لهما فيها.

كان عمر بن عبد العزيز قد خوفه رجال من قومه وهو على فراش الموت وحذروه من ضياع أولاده فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فلم يحتج منهم أحد بعد ذلك بفضل الله تعالى.

وهذا القاضي العالم محمد بن أبي محمد الأنصاري المالكي التلمساني المغربي ثم الهندي المراسي المتوفى سنة ١٢٠١ قال له الناس عند احتضاره: فوض أولادك إلى النواب. قال: لا والله، بل أفوض أولادي إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ثم بلغت أولاده إلى درجة الإمارة والرئاسة، رحمه الله تعالى.

وما أحسن فقه الملك الأشرف ابن الملك العادل: كان صاحب دمشق - ما أحسن فقهه لهذه المسألة، والتزامه التقوى خوفًا على بناته، إذ قال رحمه الله تعالى: «ما مددت عيني إلى حريم أحد ولا ذكر ولا أنثى، جاءتني عجوز من عند بنت صاحب خلاط شاة أرمن بأن الحاجب عليًّا أخذ لها ضيعة فكتبت بإطلاقها - أي برد الضيعة - فقالت العجوز: تريد أن تحضر بين يديك - أي بنت صاحب خلاط وأميرها، وكانت خلاط إحدى البلدان الشامية - فقلت: باسم الله، فجاءت بها فلم أرَ أحسن من قوامها ولا أحسن من شكلها فقمت لها وقلت: أنت في هذا البلد وأنا لا أدري، فسفرت عن وجه أضاءت منه الغرفة، فقلت: لا، استتري. فقالت: مات أبي،

واستولى على المدينة بكتمر - أحد الأمراء - ثم أخذ الحاجب قريتي وبقيت أعيش من عمل النقش وفي دار بالكراء، فبكيت لها، وأمرت لها بدار وقماش. فقالت العجوز: يا خوند - أي يا رئيس - ألا تحظى الليلة بك؟ فوقع في قلبي تغير الزمان، وأن خلاط يملكها غيري وتحتاج بنتي أن تقعد هذه القعدة، فقلت: معاذ الله، ما هذا من شيمتي، فقامت الشابة باكية تقول: صان الله عواقبك»، أرأيتم هذا الملك، فقهه وتقواه فإنه حفظ بناته بحفظه بنات الآخرين واتقاء الله فيهم.

***

(٨)
أولاد الصالحين

الصالحون لهم آمال وطموحات، وعزمات ورغبات، وهمم أكثرهم متعلقة بمعالي الأمور، فإذا منَّ الله تعالى على أحدهم بامرأة صالحة فقد تيسرت له أسباب السعادة وحاز خير متاع الدنيا، وأصبحت همته متعلقة بإنشاء بيت مسلم صالح يغدو جزءًا من المجتمع الذي يريد صلاحه وإصلاحه، فهو يعلم يقينًا أن صلاح المجتمع بصلاح أسره وبيوته، وأن السبيل إلى ذلك أن يرزقه الله بذرية صالحة مهتدية تساهم في هذا

الصلاح، ويهدي الله تعالى بها من يشاء.

وأمور الله في كونه لا تجري على مراد العبيد ورغباتهم وإنما تقضي وفق حكمة عظيمة قد يعلمها البشر وقد يجهلونها، فقد يرزق الله تعالى عبدًا صالحًا ذرية صالحة، وقد يهب الله تعالى عبدًا طالحًا ذرية صالحة أيضًا، وقد يهب الله الطالح طالحين، وقد يهب الصالح طالحين، هذه أربع صور للهبات الإلهية موجودة متداولة بين الناس، وهي صور من الأقدار التي هي خير للعبد في دينه ودنياه وإن جهل الحكمة منها.

لكن من الحالات السالفة الذكر حالة صعبة مؤلمة، وقعها على النفوس شديد وأثرها عظيم، ألا وهي الحالة التي يرزق العبد الصالح ذرية

طالحة كلها أو بعضها طالح، فعلى العبد حينئذٍ أن يرضى ويسلم تسليمًا ولا يبدر منه ملائم الاعتراض على الأقدار التي يغيب عنه الحكمة من ورائها ويتعلل بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقوله تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾.

وله أن يطفئ حر صدره بما حصل لبعض الأنبياء العظام والرسل الكرام، فهذا نوح -عليه الصلاة والسلام- رزق ابنًا ضالًا، ولقد حاول هدايته بكل ما أوتي من قدرات فلم يوفق، وما أصعب هذا المنظر الذي سجله الله تعالى قرآنًا

يتلى إلى يوم القيامة يقص فيه تعالى اللحظات الأخيرة من الدعوة – دعوة الأب لابنه –: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هكذا قضى الله تعالى وقدر لكن الأب الرحيم لم يكتفِ بهذا بل نادى مولاه ذا الجلال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

وليتذكر من رزق بولد طالح أو أكثر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ

أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

ويمكن أيضًا أن يتفكر العبد فيما يمكن أن تكون الحكمة من وراء هذا القدر الحكيم العظيم، فلعل هذا العبد قد رُزق بهذا الولد الطالح أو الأولاد الطالحين ليعظم بذلك أجره إن صبر ورضي، ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ولعله إنما رزق بما رزق به لرفعة مكانته وعظيم منزلته عند ربه، ولا بد لهذه الرفعة والمنزلة ابتلاء فكان هذا جزءًا من الابتلاء الواقع والبلاء الحاصل، ألم يقل النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء

الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، كل يبتلى على قدر دينه». وقد قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

ولعل من ابتلي بأولاد طالحين إنما ابتلي بهم عقوبة له على صنيع صنعه، وإذا أراد الله تعالى بالعبد خيرًا عاقبه في الدنيا بما صنع نجاة وستر عليه في الآخرة، فلينظر هذا العبد المبتلى في أعماله وليراجع ما صنع في دنياه، فلعل ما رزقه من أولاد طالحين يكون عقوبة معجلة له جزاء بعض ما قدمه من معاصٍ وآثام أو تقصير في حق الملك الرحيم العلام.

ولعل من ابتلي بأولاد طالحين إنما ابتلي بهم لذنوب اقترفتها زوجه وهو لا يدري بها، فإن الله تعالى كما يعاقب الوالد على صنيعه يعاقب الوالدة أيضًا، والوالدة - عادة - ينالها من الأذى بسبب ضلال الأولاد أضعاف ما ينال الوالد، فالوالد مشغول بأعماله، والوالدة هي التي تواجه مشكلات هؤلاء الأولاد في البيت وتعاني منها أكثر مما يعانيه الوالد، فلتتقِ الله تعالى كل والدة، ولتحرص على ضبط شئونها حتى تتفق مع أوامر الله تعالى ونواهيه، ولتعلم هي وزوجها أن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب ولا نسب، وأنه تعالى يعاقب العصاة من الصالحين كما أنه تعالى يعاقب العصاة من غير الصالحين، وأنه ليس أحد بكريم على الله تعالى إلا بقدر تقواه واستقامته على الجادة، وبعده عن

الإصرار على الذنوب، وفزعه إلى الاستغفار والتوبة والعمل الصالح.

لكن العبد إن رزق بأولاد ضالين - نسأل الله تعالى السلامة والعافية - ماذا يصنع معهم؟

والواجب للصبر على هذه المصيبة وإطفاء حرها بتذكر بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي بينت أن الأمر كله لله يخلق ما يشاء سبحانه وتعالى، وأن العبد لا يدري على وجه مؤكد الحكمة من هذا القضاء الإلهي -كما ذكرت آنفًا- لكن ماذا يصنع الوالدان مع أولاد ضلوا الطريق؟ على الوالدين أن يفعلا ما يلي:

أولاً: الدعاء، فهو سلاح ماضٍ، والإلحاح فيه والاستكانة والتضرع والانكسار قد يعجل من

الفرج، ويأتي بما يشتهي الوالدان ويحبان إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: النصح الدائم لهؤلاء الأولاد، وتعهدهم به مرة بعد مرة، وإظهار الشفقة عليهم، وبيان الخطر الأكيد الذين هم مقبلون عليه إن ظلوا في ضلالهم وغيهم، وضرب الأمثلة لهم، وتقليب وجوه الخطاب معهم.

ثالثًا: الحرص على توفير صحبة صالحة لهم ومنعهم من الاختلاط بأصحاب السوء بكل وجوه ممكن من الترغيب والترهيب.

رابعًا: إن أصر الأولاد بعد هذا على الاستمرار على ما هم عليه فينبغي على الوالدين أن يميزا بين الصالحين من أولادهم والطالحين،

فلا يصح أن يورد مريض على صحيح، فليجعل لمن ضل الطريق منهم غرفًا خاصة إن تيسر أو إن لم يمكن هذا يمنع الوالدان خلطة الفاسد بالصالح ما أمكن.

خامسًا: عدم السماح مطلقًا لهؤلاء الأولاد بممارسة معاصيهم في البيت كائنًا ما كان الأمر، وينبغي إفهامهم بل إجبارهم بشتى الوسائل على مراعاة حرمة البيت.

سادسًا: إظهار الامتعاض الشديد من تصرفات هؤلاء الأولاد، والحرص على إنكارها وعدم التهاون في ذلك أبدًا.

سابعًا: الهجر الجزئي أو الكلي لهؤلاء الأولاد حتى يشعروا بفداحة ما صنعوه، فإنه ليس أثقل

على كل من فيه بقايا فطرة سوية أن يهجره والداه، وهذا الأمر - أي الهجر - لا بد منه بعد النصح المتوالي وذلك لأن النبي ﷺ قال: «أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان يقول لأخيه: اتق الله، ثم لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده».

ثم إنه ينبغي بعد كل هذا أن لا يلام الصالحون من الآباء والأمهات على ضلال بعض أولادهم أو كلهم إن بذلوا جهدهم وفعلوا كل ما بوسعهم أن يفعلوه، إذ إن كثيرًا من الناس يتصور أن الوالدين الصالحين لا بد أن تكون ذريتهما صالحة، وهذا تصور خاطئ لا يصلح، والأمر لله يرزق من يشاء ما يشاء، نسأل الله السلامة والعافية عن هذا البلاء، والله الموفق.

الفهرس

***